العلم والديمقراطية: دراسة إبستمولوجية

أ.د. خالد قطب
جامعة الفيوم. كلية الآداب. قسم الفلسفة
مجلة المجمع العلمي المصري. المجلد الرابع والثمانون. ٢٠٠٨-٢٠٠٩

بداية لابد أن نؤكد أن التفكير الفلسفي ضرورة إنسانية، وتكمن هذه الضرورة في القلق الدائم الذي ينتج عنه تساؤلات طلبا لإيجاد علاقة أو تفسير أو البحث عن معني يتجاوز الواقع المعطي المباشر، الأمر الذي يجعلنا نقول بأن التفكير الفلسفي يختلف من حقبة تاريخية إلي أخري ومن مجتمع إلي آخر وفقا للموقف الحضاري والثقافي والسياسي الذي يتبناه مجتمع ما من المجتمعات، ووفقا للتساؤلات التي يطرحها هذا المجتمع أو ذاك، والمشكلات المراد حلها علي النحو الملائم للعصر والقيم وحاجات ومصالح المجتمع المختلفة، لذا لا ينفصل التفكير الفلسفي، بأي حال من الأحوال، عن البني الاجتماعية وعن حركة العلم وتطوره. لهذا حاولنا في هذه الورقة أن نتناول العلاقة بين الفلسفة والديمقراطية.

فقد أثار العديد من الفلاسفة والمفكرين عدة تساؤلات حول العلاقة بين الفلسفة والديمقراطية منها: هل تعمل الفلسفة علي تنمية القيم الديمقراطية داخل المجتمعات؟ وهل تساهم الفلسفة في جعل السياسة أكثر عقلانية بحيث ينعكس ذلك علي المجتمع ككل، أم أن الفلسفة تساهم أحيانا في سيادة ديمقراطية لا عقلانية، قاصرة، غير فعالة تخدم أغراض أيديولوجية وسياسية محددة؟ وهل يمكن أن يكون للفلسفة حكما ذاتيا خاصا بها منفصلا عن أي مؤسسة سياسية أو دينية فيتلاشى داخل جمهورية الفلسفة أشكال التمويل السياسي المغرض والتأويلات الدينية التبريرية التي تخدم مصالح المجتمعات الصناعية المتقدمة؟

إن الكشف عن الديمقراطيات المراوغة داخل المجتمع من شأنه أن يفند أي محاولة تحاول أن تجعل تقليدا فلسفة ما تمارس سلطة قمعية تحت ستار الديمقراطية.

ولعل أهم تلك التساؤلات التي طرحها المفكرون والفلاسفة هي العلاقة التي تربط الفلسفة بالديمقراطية ودور المؤسسة السياسية والاجتماعية والدينية في توطيد دعائم تلك العلاقة أو فصل أواصرها انتصارا لأيديولوجيا ما أو أغراض سياسية/اقتصادية/اجتماعية/دينية محددة مسبقا.